

ال التربية الإسلامية - سبل الوصول وعلامات القبول - الدرس (٢٠٠٢) : مقدمة ٢ - قواعد كلية في الحلال والحرام.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٩-١٠-٤

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجننا من ظلمات الجهل والوهم، إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنات القربات.

الحلال و الحرام :

أيها الأخوة الكرام، مع مقدمة ثانية لبرنامج: "سبل الوصول وعلامات القبول"، والحقيقة الدقيقة في هذا اللقاء الطيب أنه كما أن الأخلاق الحسنة أكبر مسرع إلى الله كذلك الوقوع في الحرام حجاب عن الله عز وجل، ففي حياة المسلمين حلال وحرام.

والحديث عن الحلال والحرام حديث يطول، ولكن هناك قواعد كلية في الحلال والحرام ينبغي أن تكون بين أيدينا، كتمهيد للحلال والحرام: السيارة لماذا صنعت؟ من أجل أن تسير، لكن لماذا فيها المكبح؟ المكبح يتناقض مع علة صنعها، لكنه ضمان سلامتها. أنا حينما أفهم الحرام ليس قيادة لحريتي، ولكنه ضمان لسلامتي أكون فقيهاً،

حينما أفهم الحرام ليس قيادة لحريتي لكنه ضمان لسلامتي، أفهم أن المكبح في المركبة، ليس تقبيداً للمركبة، هي صنعت من أجل أن تسير، ولكن المكبح أحياناً يضمن سلامتها. مثل آخر: هناك توافق تام مئة بالمائة بين منهج الله وبين فطرة الإنسان، فأي إنسان يعصي ربه، تعاقبه فطرته بالکابة، والضيق.

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً ﴾

[سورة طه الآية: ١٢٤]



توافق الفطرة التام مع منهج الله عز وجل :

سواء أعصى الإنسان ربه أم خرج عن طبيعة فطرته هناك مشكلة كبيرة في حياته، لأن الفطرة متوافقة تماماً مع منهج الله، وأكبر دليل على ذلك:

﴿فَأَقْمِ وَجْهَكَ لِلّدِينِ حَتَّىٰ فِطْرَةَ اللّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّهِ﴾

[سورة الروم الآية: ٣٠]



تطابق منهج الله مع الفطرة بشكل تام،
قال تعالى:

﴿وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاها﴾

[سورة الشمس]

من تسويتها أنه:

﴿فَالْهَمَّهَا فُجُورُهَا وَتَقْوَاهَا﴾

[سورة الشمس]

لمجرد أنها فجرت تشعر ذاتياً من دون
لفت نظر، من دون توجيه، من دون
إلقاء كلمة، تشعر أنها فجرت.

لذلك لأن توافق الفطرة مع المنهج توافقاً تاماً، فأية معصية، وأي وقوع في الحرام، وهو محور
الدرس يسبب للإنسان شقاء، وضيقاً، وكآبة، هي في الحقيقة مرض العصر، سمّ هذا المرض إن
شتئت كآبة، سمّه إحباطاً، سمّه ضجراً، سمّه ساماً، سمّه ملاعاً،

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعيشَةً ضَنْكاً وَتَحْشِرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾

قواعد كلية في الحلال والحرام :

١ – الأصل في الأشياء الإباحة :

أيها الأخوة الكرام، القاعدة الأولى في
منهج الله أن الأصل في الأشياء
الإباحة، ولا يحرم شيء إلا بالدليل
القطعي والثابت، قطعي الدلالة، وثبتت



نفلاً، نحن أمة الوحيدين الكتاب والسنة، فالأصل في الشيء الإباحية، ولا يحرم شيء إلا بالدليل القطعي والثابت، والدليل قال تعالى:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ﴾

[سورة الجاثية الآية: ١٣]

هذه الأشياء مسخرة لنا ، لا يمكن أن تكون محرمة،

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ﴾

﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَكَبَّرُونَ ﴾

[سورة الجاثية]

دليل من السنة النبوية؛ يقول عليه الصلاة والسلام:

((فَمَا أَحَلَّ فَهُوَ حَلٌّ، وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَامٌ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَفْوٌ))

[أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عباس]

شرع شيئاً وحرم شيئاً، وسكت عن شيء، لا تحاول أيها الأخ الكريم أن تسأل عن حكم الأشياء التي سكت الشرع عنها.



إنسان ببيته كراسى، وأثاث ، هذا سكت عنه الشرع، تحب أن تجلس على الأرض، على كراسى، سكت الشرع عنها، أي هناك أشياء لها علاقة بتقريرك إلى الله "الحلال" ، وهناك أشياء لها علاقة بحجبك عن الله "الحرام" ، هناك أشياء حيادية ليس لها أثر إيجابي ولا سلبي، سكت عنه الشرع، فما سكت عنه الشرع فيه حكمة بالغة، لا تقل عن حكمة الذي أمر به أو نهى عنه.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((مَا أَحَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ حَلٌّ، وَمَا حَرَمَ فَهُوَ حَرَامٌ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَفْوٌ، فَاقْبِلُوا مِنْ

الله عافية إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ نَسِيَّاً ثُمَّ تَلَّا هَذِهِ الْآيَةُ ثُمَّ تَلَّا هَذِهِ الْآيَةُ :

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾

[البزار في مسنده و الحاكم من حديث أبي الدرداء]

الأصل في الأشياء والأفعال والتصرفات الإباحية، ولا يحرم شيء إلا بالدليل الثابت، حديث صحيح، آية محكمة معناها قطعية الدلالة، فالتحريم يحتاج إلى دليل ثابت وقطعي، أما العبادات والحقائق الأصل فيها الحظر، ولا تشرع عبادة إلا بالدليل القطعي والثابت هذه القاعدة الأولى.

٢ – التحليل والتحريم من حق الله تعالى وحده :

أما القاعدة الثانية: التحليل والتحريم من حق الله تعالى وحده، شأن البشر أن يتلقوا عن ربهم الأمر والنهي، وليس من شأن البشر أن يشرعوا في أمور الدين والعقائد، فلذلك التحليل والتحريم من حق الله تعالى، والأية الكريمة:



﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

[سورة الشورى]

لأن الخالق خبير، قال تعالى:

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾

[سورة فاطر]

أنت أيها الإنسان أعدد آلة في الكون تعقيد إعجاز لا تعقيد عجز، ولهذه الآلة صانع حكيم، وله منهج واضح، فاتباع المنهج من أجل سلامتك وسعادتك، فالشرع هو الله، والحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمته الله.

٣ – تحليل الحرام وتحريم الحلال من أكبر الكبائر :

القاعدة الثالثة، من أكبر الكبائر تحليل الحرام، ومن أكبر الكبائر تحريم الحلال، شيء حرمه الله كيف تبيحه؟ وشيء أحله الله كيف تحرمه؟ فعندما يصل الإنسان إلى أن يحرم ما أحله الله، أو يحلل ما حرمه الله يكون قد وقع من كبيرة ما بعدها من كبيرة.

يقول عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه:

﴿وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ﴾

[أخرجه مسلم عن عباض بن حمار]

حنفاء أي مائلين إلى التوحيد، مائلين إلى الإيمان، مائلين إلى الرحمة، إلى الإنفاق، إلى العدل، كل أمرك الله به جبك عليه، فطرك عليه.

﴿وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ﴾

أي مائلين إلى الحق، مائلين إلى التوحيد، إلى الإنفاق، إلى العدل، إلى الرحمة، هذه الفطرة:

((وإنهم أتّهُمُ الشَّيَاطِينَ فَاجْتَالُوهُمْ عَنِ دِينِهِم))

التفلت و التشدد خطران على شباب الأمة علينا القضاء عليهما :

صدقوا أيها الأخوة، الذي يحصل بالأرض من ثقافة إبلاجية، تدمر فطرة الإنسان السليمة.

((وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُفَّاءَ كُلَّهُمْ . وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينَ فَاجْتَالُوهُمْ عَنِ دِينِهِمْ . وَحَرَمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ . وَأَمْرَتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا))

[أخرجه مسلم عن عياض بن حمار]



فإن الإنسان الآن مشوه، الشيطان شووه،
أي من كان يصدق في تاريخ البشرية
ما يسمى بزنا المحارم، الفطرة السليمة
تأبى ذلك، تنفر من ذلك، ومع ذلك
الشياطين اجتالتهم عن فطرتهم، أي عن
أصل جبلتهم.

نحن نعاني تطرفين تطرف تفلت،
وتطرف تشدد أيضاً، لذلك يقول عليه
الصلاحة والسلام:

((هَلَّكَ الْمُتَنَطَّعُونَ))

[أخرجه مسلم وأبو داود عن عبد الله بن مسعود]

المتنطع هو الذي يغالي، هناك إنسان متفلت، هذا متطرف تطرف تفلت، وهناك إنسان آخر متشدد، هذا متطرف تطرف تشدد، وهم خطران على شباب الأمة، التفلت والتشدد، الإسلام دين الاعتدال، دين الوسطية، دين أن تعطي حق جسدك وحق نفسك، أن تهتم بدنياك وبآخرتك، لذلك يقول عليه الصلاحة والسلام:

((أَلَا هَلَّكَ الْمُتَنَطَّعُونَ قَالَهَا ثَلَاثًا))

[أخرجه مسلم وأبو داود عن عبد الله بن مسعود]

٤ – الحلال طيب والحرام خبيث :

القاعدة الرابعة في شأن الحلال والحرام أن الحلال طيب، وأن الحرام خبيث، الحلال يتوافق مع الفطرة، تطيب به النفس، ترتاح له النفس، تسعد به النفس، تطرب به النفس، والحرام تشقي به النفس، خبيث.

مثلاً: إنسان خطب امرأة وتزوجها، هناك عقد قران، وهناك عرس، و هناك أبواق تطلق من أجل إعلان الناس أن هذا عرس، وهناك احتفالات، وهناك تهنئة، وهناك هدايا، لأن هذه العلاقة بين الذكر والأنثى وفق منهج الله، الحال طيب.

مرة حدثي أخ قال لي: طرق بابي الساعة الرابعة ليلاً، فتحت الباب فلم أجد أحداً، حالت مني التفاة إلى الأرض فرأيت كيساً فيه غلام ولد لتوه، أنا وازنت بنفسي بين إنسان تزوج وزوجته حامل، والتهاني تتالت عليه ثم ولدت، جاء الأهل فباركوا هذا المولود، فرحاً بهذا المولود، أقيمت حفل لهذا المولود، استقبلوا هذا المولود، وبين طفل جاء بالحرام، وضع في كيس وألقي أمام الباب، أو ألقي في الحاوية.

الحال طيب، والحرام خبيث، لذلك

الآية الكريمة يقول الله عز وجل:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأَمِيَّ
الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عَنْهُمْ فِي التُّورَاةِ
وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُمْ ﴾

[سورة الأعراف الآية: ١٥٧]

كلمة معروفة أي أن النفوس السليمة

تعرفه ابتداء، من دون تعليم

﴿يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾



الحال طيب

الفطر السليمة تعرف المعروف ابتداء، بحسب خصائصها.

﴿وَيَنْهَا هُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَحْلِلُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَاثَ ﴾

[سورة الأعراف الآية: ١٥٧]

يقول لك إنسان: ما الدليل على أن الدخان حرام؟ نقول: ألم يثبت علمياً أنه ضار بالصحة؟ يقول:

نعم، نقول إذاً حرام، هذا هو الدليل

﴿وَيَنْهَا هُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَحْلِلُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَاثَ ﴾

٥ – في الحال ما يُغنى عن الحرام :

القاعدة الخامسة: في الحال ما يغني عن الحرام، ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا جعل لها قناة نظيفة تسري خلالها، أنا أخاطب الشباب، ليس في الإسلام حرمان إطلاقاً، مرة ثانية: ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا جعل لها قناة نظيفة تسري خلالها.

لذلك في الحال ما يغني عن الحرام، اشتاهيت المرأة؟ تزوج، اشتاهيت المال؟ اعمل، أية شهوة جبت عليها جعل الله لها قناة نظيفة تسري خلالها.

٦ – ما أدى إلى حرام فهو حرام :



القاعدة السادسة: هذه القاعدة دقيقة: ما أدى إلى حرام فهو حرام، أخي أنا أجرته بيّتاً، أنا ليس لي علاقة، تعرف أنك أجرته ليلة واحدة بعشرة آلاف، والليلة بالشيراتون خمسة آلاف، معنى هذا أن البيت ليس من أجل النوم فقط، هناك شيء آخر، ما أدى إلى حرام فهو حرام، أي عمل انتهى إلى حرام فالمسبب آثم.

هناك أمثلة كثيرة جداً: صنعت ثياباً تبرز كل مفاتن المرأة، فإذا ارتدت المرأة هذه الثياب أظهرت كل مفاتنها في الطريق لك سهم في هذه المشكلة، ما أدى إلى حرام فهو حرام، إلا إذا كان لزوجها لهذا موضوع ثان، من أجل الحكم الشرعي طبعاً، أما حينما تصنع شيئاً تسهم في إفساد الناس، في إضلalهم، فهو حرام.

الآن إذا حرم الله شيئاً حرم معه ما يفضي إليه من وسائل، الوسائل محرمة كيف؟ كيف أن الوضوء فرض، والصلاحة فرض، لأن الصلاة لا تتم إلا به، وإذا كان هناك مشكلة أو معصية لا تتم إلا بعمل لهذا العمل ولو كان في الأصل مباحاً ما دام قد انتهى إلى معصية فهو حرام أيضاً، من هنا جاء سد الذرائع، إذا زرعت عنباً وتعلم علم اليقين أنه سيصنع خمراً هذا الشيء المباح أفضى إلى حرام.

أية مشاركة بشرية مادية أو معنوية بمعصية كبيرة هي حرام، إنسان يسهم في بناء ملهى، أخي أنا أركب الكهرباء فقط، هذا ملهى نقام فيه المعاصي والآثام.

٧ – التحايل على الحرام حرام :

القاعدة السابعة: التحايل على الحرام،
ماذا فعل بنو إسرائيل؟ حفروا الحفر
على الشواطئ، وجاءت الحيتان يوم
السبت شرعاً، فصادوها يوم الأحد،
حيلة شرعية، وما أكثر الحيل الشرعية
في حياة المسلمين، يتغير الاسم فقط.



هناك فتوى لو أن الإنسان أودع المال في البنك بفائدة ربوية، نحن سنسمى الفائدة عائدة، سُمِّيَ عائدة، سُمِّيَ فائدة، مadam قرض ربوي فهو حرام، بأي تسمية.

فهناك تحايل على الحرام، أوضح مثل بيع العينة، كيس الأرض يباع في اليوم مئة مرة، يشتريه الإنسان بـألف دينار، ثم يبيعه لصاحب في الدقيقة نفسها نقداً بـثمانين، أعطاه ثمانين وسجل عليه ألفاً، هذا الكيس يباع في اليوم مئة مرة، يباع لـمئة سنة، بيع العينة حرام لأن تحايل على الحرام.

٨ – النية الحسنة لا تبرر الحرام :

أيها الأخوة، شيء آخر : النية الحسنة لا تبرر الحرام، تقول : يانصيب خيري مثلاً، حفل غنائي ساهر يرصد بيعه للأيتام، النية الحسنة لا تجعل الحرام حلالاً، لأن الله تعالى قال :

﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾

[سورة النمل الآية: ١٩]

العمل الصالح الذي يرضاه الله عز وجل ما كان خالصاً وصواباً، خالصاً ما ابتغي به وجه الله، وصواباً ما وافق السنة.

٩ – انقاء الشبهات أولى :

أيها الأخوة، القاعدة التاسعة: انقاء الشبهات أولى، الحرام واضح، الزنا، القتل، الخمر، السرقة واضحة، والطاعة، والصلوة، والصيام، والحج، والزكاة، والعمل الشريف واضح، فالحلال الصرف واضح، والحرام الصرف واضح، وبينهما أمور مشتبهات، المشكلة هنا لا يعلمهها كثير من الناس، لذلك قال تعالى :

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة النحل]

الحلال واضح، والحرام واضح، وبين، ونير، وجي، وظاهر، بينما الشبهات، معنى الشبهات تشبه الحال من جهة، وتشبه الحرام من جهة، أنت الآن بحاجة إلى أهل الذكر

﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

فالورع يسأل.

((فمن تركها استبراً لدینه وعرضه فقد سلم، ومن واقع شيئاً منها يوشك أن ي الواقع الحرام))
كأن نهرأ عميقاً جداً له شاطئ مائل زلق، وشاطئ مستوي جاف، فالشاطئ المستوي الجاف هذا الحال أو الحرام، أما الشاطئ المائل الزلق هذه الشبهات، لو سرت على هذا الشاطئ المائل الزلق يمكن أن تقع في النهر .

((الحال بين الحرام وبين، وبينهما أمور مشتبهات))

((فمن تركها استبرأ لدينه وعرضه فقد سلم، ومن واقع شيئاً منها يوشك أن ي الواقع الحرام))

[رواوه البخاري عن النعمان بن بشير]

١٠ – الحرام حرام على الجميع :

القاعدة العاشرة: الحرام حرام على الجميع، لا يوجد إنسان معفى من الحكم شرعاً، لا يوجد حكم شرعى يطوى عن إنسان، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((إنما أهلك الذين قبلكم: أنهم كانوا إذا سرقوا فيهم الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وإذا سرقوا فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ. وأئِمْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بَنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقْطَتُ يَدَهَا))

[أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذى والنمسائى عن عائشة أم المؤمنين]

الحرام حرام على الجميع.

١١ – ضابط الكسب الحلال :



آخر قاعدة: هي ضابطة للحال والحرام، هناك آلاف الأحكام المحرمة، وألاف الأحكام التي تحل الأشياء، لكن ما الضابط؟ ما القاسم المشترك؟ ما المحور؟ ما الخيط الذي يجمع كل أنواع المحرمات؟ هو ما يلي:

أية منفعة بنيت على مضره فهي حرام، أية منفعة متبادلة فهي حلال، السرقة منفعة للسارق بنيت على مضره

المسروق، أما أنت فتحت بحريّ، جئت ببضاعة من مركز المدينة، وتعبت، وبعثتها بثمن أعلى من شرائها، أنت ربحت، وجارك وضع بضاعته إلى جانب البيت، فالجار انتفع بالبضاعة إلى جانب البيت، والتاجر انتفع، فأية منفعة متبادلة هي محور الحلال، وأية منفعة بنيت على مضره فهي محور الحرام، الغش حرام لأنه أنت دفعت ثمن بضاعة جيدة، وهي مغشوشة، فأي منفعة بنيت على مضره فهي حرام، وأية منفعة بنيت على منفعة فهي حلال.

أيها الأخوة، ذكرت هذا الموضوع كمقدمة ثانية، لأن الحرام يحجب عن الله عز وجل، وبرنامجاً سبل الوصول إلى الله، والحرام يمنعك أن تصل إلى الله، يحجبك عن الله، ومع الإخلاص علامات القبول.

والحمد لله رب العالمين